المسائل النحوية والصرفية

في رحلة الأديب وزهرة الحياة الدنيا

للشهاب ملخفاجي : دراسة ونقداً

بقلم الدكتور : مبروك عطية أحمد أبو زيد

مدرس اللغويات بكلية الدراسات الاسلامية

بسوهاج

المسائل النحوية والصرفية
فى ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا
للشهاب الخفاجى : دراسة ونقداً

تمهيد :

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، ومن حدث بنعمته وشكر له الفضل فقد اهتدى ..

والصلاة والسلام على النبى المصطفى ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه خير الورى ..

وبعد ،،

فان علم النحو موضوعه الكلام الفصيح ، وغايته التحقيق والتصحيح ، لكى يشدو الشادى باللسان العربى الصحيح ، وفى النحو مؤلفات كثيرة متخصصة ، لا تغيب عن نظر الدارس والباحث طرفة عين ، فهى معينه الذى لا يجف ولا ينضب ، وفى تضاعيف سطورها يجد الحاجة ويحقق المأرب ، وفى مؤلفات العلماء وتصانيفهم الأخرى نحو كثير ، ورحم الله شيخنا الجليل العلامة محمد عبد الخالق عضيمة ، حيث قال فى آخر تحقيقه مقتضب المبرد : « إن الحديث عن مسائل النحو يتجاوز كتب النحو الى كثير من كتب العلوم الأخرى ، ففى كتب اللغة نحو كثير ، وكذلك فى كتب الأمالى والمجالس ، والتفسير وعلوم القرآن وإعرابه ، وأصول الفقه ، والسير كالروض الأنف ، وكتب المعارف العامة كبدائع الفوائد لابن القيم ، وكليات أبى البقاء ، وغير ذلك »(١) .

---

(١) تحت عنوان « كلمة لابد منها » بمقدمة فهارس المقتضب ص٢ ط. المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ الثانية سنة ١٣٩٩ هـ . ؟

وتصديقاً لكلمة الشيخ ـ رحمه الله ـ نقدم اليوم المسائل النحوية والصرفية فى كتاب : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا لمؤلفه الشهاب الخفاجى ، فقد رأيت أن الكتاب يشتمل على جملة من المسائل متفرقة ، وأن جمعها ودراستها وتحليلها أمر مفيد ، وقصد سديد ، لما فيها من الافادة ، ومافى نقدها من تحقيق للغاية .

وقبل أن أعرض تلك المسائل يطيب لى أن أعرف بالشهاب الخفاجى تعريفا سريعاً موجزاً ؛ فهو العلامة أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجى المصرى شهاب الدين ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة ونشأ فى بيت علم وفضيلة ، إذ كان أبوه من العلماء ، وخاله أبو بكر الشنوانى ، وقد تلمذ لهما ، ولغيرهما من خيرة علماء عصره ، وقد ارتحل فى طلب العلم إلى بلاد كثيرة ، منها مكة المكرمة ، والقسطنطينية ، ومن تلاميذه صاحب خزانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) ، وقد ترك لنا الشهاب الخفاجى مؤلفات كثيرة ، منها حاشيته على تفسير البيضاوى ، المسماة بعناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، وطراز المجالس ، وشفاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخيل ، وتوفى ـ رحمه الله ـ فى رمضان المعظم سنة ١٠٦٩ هـ(٢) .

وأما كتاب الخفاجى « ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » فهو تسجيل للأدب واللغة فى عصره ، يقول فى مقدمته : « فهذه ذخائر من خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا ؛ تنفس

---

(٢) ينظر فى ترجمته خلاصته الأثر للمحبى ١/٣٣١ ، ط. بيروت والريحانة ٢/٣٢٩ ، والأعلام ٢/٣٥٥ .

الدهـر بهـا عن نفحـة عنبرية ، وهبـت بهـا أنفاسـه النـدية ندية »(٣) .

وقـد قسـم كتابه أربعـة أقسـام :

القسـم الأول : فى محاسـن أهـل الشـام ونواحيهـا .

والقسم الثانى : فى محاسـن العصريين من أهـل المغرب ومـا والاهـا .

والقسم الثالث : فى مصـر وأحوالها ، وسبب العـود لرسومها وأطلالهـا .

والقسم الرابع : فى ذكـر الروم ، وما اتفق لـه فيهـا ، وذكر من لقيـه بهـا من رؤسائها وعلمائهـا ، وبقية دهمائهـا :

ثم عقـد بابـاً لبيـان أحوال الـروم ، وانفراض علمائهـا ، ونشـر الظـلم والعدوان بين أمرائها ، وبابـاً آخـر ترجـم لنفسه فيـه ، فذكـر نشـأته فى حجـر أبيـه ، وتلمذته لخـاله النحوى أبى بكـر الشنوانى ، وذكـر شيوخه وآثاره ، ورحلته وختم الريحانة بفصول قصـار من تأليفه ، ومقاماته ، وجملـة من الفـوائد العلمية من اختـلاف وجـوه القـراءات ، وطبقـات البلغـاء والشعراء ، وأمـا عن المسـائل النحوية والصرفية فى الكتـاب فهى على حسـب ذكرهـا كمـا يأتى :

١ ــ التغليب .

٢ ــ حـذف بعض الكلمـة فى الترخيم وغـيره .

---

(٣) الريحانة ١/١١ ، ١٢ ، ط. عيسى الحلبى .

٣ ــ القــول فى أشــياء وأســماء •

٤ ــ حــذف الــلام من « تعــالى » •

٥ ــ إبدال الصــاد زايــا •

٦ ــ اعــراب « بحقــلد » فى شــعر زهــير •

٧ ــ طــوباك فى معنى طــوبى لك •

٨ ــ القــول فى « كافــة » واعرابهــا •

❊ التغليــب :

التغليب ظاهــرة لغــوية ، وحقيقته أن يجتمــع شيئان ، فيجرى حــكم أحدهما على الآخــر ، وذلك لتناسب بينهمــا ، أو اختلاط ، وهــو باب واســع ، يجمــع طرائف وفــوائد لطيفــة ، وقــد أشار الشهاب الى تغليب العرب الذكور على الاناث ، وذكــر بيت الأصفهاني فى محبوبتــه •

لو أمعنت النحــاة فيهــا نظــراً

لــم تــدع الى المذكــر التغليبــا

ثم قــال : « والتغليب باب واســع المــوارد ، كثير المصــائد والأوابد ، فلينظــر الصــواب ، ولا يرسل البــاز فى الضباب »(٤) •

ومن التغليب قولهم « الابــوان » فى الأب والأم ، وفى الاب والخــالة ، و « القمــران » فى الشمس والقمــر ، و « العمران » فى أبى بكــر وعمــر ، و « المروتان » فى الصــفا والمــروة وهــذا التناسب ، أمــا الاختلاط فمنــه إطــلاق « مــن » على مالا يعقــل

---

(٤) الريحانة ١/٣٥٠ .

فى نحـــو قـــوله تعالى : « **فمنهم مـــن يمشى على بطنـــه** »(٥) .

واســـم المخاطبين على الغائبين فى نحـــو قوله عـــز من قـــائل : «**يأيهـــا النـــاس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلـــكم تتقـــون** »(٦) .

وتغليب المذكـــر على المؤنث وعـــد منـــه قـــوله جـــل فى عـــلاه : « **وكانت من القـــانتين** »(٧) .

يقـــول العلامة سليمان بن عمـــر الجمـــل (١٢٠٤ هـ) فى حاشيته على تفســـير الجلالين . يجـــوز فى « مـــن » وجهـــان :

أحدهمـــا : أنهـــا لابتـــداء الغـــاية .

والثـــانى : أنهـــا للتبعيض ..

فعـــلى الأول لا يلـــزم التغليب فى الكـــلام ، لانهـــا مبتـــدأة ومنشـــأة من القـــوم ، أى الرجـــال الصالحين ، إذ لفظ القـــوم خاص بالذكـــور على ما قـــاله بعضهم ، وعلى الثـــانى يحتـــاج للتغليب ، فيستعمل لفـــظ القانتين فى مجمـــوع الذكور والاناث ، حتى يصـــح كونهـــا بعض ذلك المجمـــوع والاشعار بأن طاعتهـــا لم تقصر عن طاعـــة الرجـــال الكاملين حتى عـــدت من جملتهم(٨) ومن التغليب قـــوله عـــز اســـمه : « **أو لتعـــودن فى ملتنـــا** »(٩) فـــان شعيبا

---

(٥) النـــور : ٤٥ .
(٦) البقـــرة : ٢١ .
(٧) التحـــريم : ١٢ .
(٨) حاشية الجمل ٣٧٣/٤ ، ٣٧٤ .
(٩) الاعراف : ٨٨

عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط ، بخلاف الذين آمنوا معه ؛ وقوله سبحانه وتعالى : « **جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، ومن الانعام أزواجاً يذرئوكم فيه** »(١٠) فان الخطاب فيه شامل للعقلاء والأنعام ، فغلب المخاطبون والعقلاء على الغائبين والأنعام ، وقد قالوا إن المؤنث يغلب على المذكر فى مسألتين .

احداهما : « ضبعان » فى تثنية « ضبع » المؤنث ، « ضبعان » للمذكر ، إذ لم يقولوا : ضبعانان .

والثانية : التأريخ ، فانهم أرخوا بالليالى دون الأيام .

قال ابن هشام : « وهو سهو ، فان حقيقة التغليب أن يجتمع شيئان فيجرى حكم أحدهما على الآخر ، ولا يجتمع الليل والنهار ، وإنما أرخت العرب بالليالى لسبقها ، اذ كانت أشهرهم قمرية ، والقمر انما يظهر ليلا وانما المسألة الصحيحة قولك : كتبته لثلاث بين يوم وليلة ، وضابطها أن يكون معنا عدد مميز بمذكر ومؤنث ، وكلاهما مما لا يعقل ، وفصلا من العدد بكلمة بين »(١١) .

ومن التغليب قولهم فى قائم وقائمة « قائمان » حيث غلب المذكر وقد ذكر أبو حيان أنهم قالوا : ضبعانان فيهما على الأصل ، وأنهم قالوا فى الجمع : ضباع فغلبوا جمع المؤنث ، ولم يقولوا ضباعين ، وقيل : ضبع يطلق على الذكر والأنثى فلا تغليب فى قولهم ضبعانان(١٢) .

---

(١٠) الشورى : ١١

(١١) مغنى اللبيب ٢/٦٦٠ ، وانظر ٦٨٧ ، ٦٨٨ .

(١٢) ارتشاف الضرب ١/٢٥٧ لأبى حيان ، تحقيق د. مصطفى احمد النماس .

فعلى أية حال لم تخل المسألة الأولى من كلام ظاهره فيه الخلاف كلن التغليب فيها بالنظر الى القياس قائم كما ذكرنا ، وكما ذكر الشهاب الخفاجي فان فى التغليب فوائد ولطائف فى حاجة الى عمل مستقل .

* حذف بعض الكلمة :

والحذف من سنن العربية ، وهو باب واسع متفرع الجنبات والأغراض ومن الحذف حذف بعض الكلمة والاكتفاء بحرف من أولها ، وهو موضوع منقاشة الشهاب الخفاجي لابن جنى الذى أثبته بشواهده ، واعترضه الخفاجي ، وقد نقل الشهاب قول ابن جنى(١٣) : ومنه قول النبى — ﷺ — : « كفى بالسيف شا »(١٤) .

يريد : شاهداً .

وقول علقمة :

. . . . . .

مقدم بسبا الكتان مختوم(١٥)

---

(١٣) انظر الخصائص ١/٨٠ ، ٨١ بتحقيق الشيخ محمد على النجار ط. دار الهدى — بيروت .

(١٤) أخرجه ابن ماجه فى سننه « باب الرجل يجد مع امرأته رجلا » من كتاب الحدود ٢/٨٦٩ ونصه : « كفى بالموت شاهدا » .

(١٥) البيت فى ديوان علقمة ص٦٩ ، وهو من البسيط وصدره :

كأن ابريقهم ظبى على شرف . . . . . .

وفى اللسان (ف د م) : ابريق مفدم : اى عليه فدام ، والفدام ما يوضع فى فم الابريق .

أى بسبائب ، وقـول لبيـد .

درس المنـا بمتـالع فـأبان

. . . . . (١٦)

أراد المنـازل .

ثم قـال الشهاب : « وقـد صرحوا بأنـه لا يجـوز حـذف بعض الكلمـة إلا فى ترخيم المنـادى على اللغتين بشروطه ، وما عداه وإن سـمع من العرب شـاذ منـاف للفصاحة ، فعدهم لـه محسناً لا يصـح ، وكـونه مع التورية لا يسوغه ، ولو صـح كان المحسـن لـه التورية لا هـذا الاكتفـاء فعدهم لـه منهـا وهـم على وهـم ، نعـم ، لو جـرى هـذا على وفـق العربية كان حسناً ، وقـد نظمت لـه مثـالا لم أسبق إليـه فقلت :

رمـت النـداء لمـالك وفـراً لـكى
يـولى الجميـل لرقـة فى الحـال
فنهـانى الصبر الجميـل وقـال لى
للكيس ناد وقـل لـه يا مـال(١٧)

ففيـه اكتفـاء وتورية مستوفية لشروط الترخيم ، وهـذا من السـحر الحـلال ، الذى يعـرفه من لـه ذوق(١٨) .

ثم أخـذ الخفـاجى فى تخـريج الحديث ، فقـال : « فـان قلت : ما وقـع فى الحـديث من قـوله : (كـفى بالسـيف شـا)

---

(١٦) البيت فى ديوانه ص١٣٨ وهـو من الكامل ، وعجـزه :
. . . . . وتقـادمت بالحبـس فالسـوبان
(١٧) أى يا مـالك .
(١٨) الريحانة ٢/١١٢ .

إن كـان صحيحا فصـيحاً نقض ما قلته ، والا يلزمك أن يصـدر من النبى ـ ﷺ ـ كـلام غـير فصيح ، وهـو أفصح الفصحاء .

قـلت : أفعـاله وأقـواله لا يقاس عليهـا غيرها ، وكمـا كان يتكلم مع كـل قـوم بلغتهم حتى صـدر منـه أحيـاناً ألفاظ فارسية وحشـية ، وغيرهـا ممـا لا يوصف بالفصاحة فعـدت من معجزاته ، أو خفى ، الى أن قـال : « ومن هـذا عـلم أن الحروف المقطعـة فى أوائل السـور ليست من حـذف بعض الكلمات المحظـور ، وهـذا البحث ممـا لا تـراه فى غـير كتابنا هـذا(١٩) ولنـا أن نناقش الخفـاجى من وجهـين :

الأول : قـوله : « وقـد صرحوا بأنـه لا يجوز حـذف بعض الكلمـة الا فى ترخيـم المنـادى » كـلام غير محقق ، فقـد جـاء الحـذف فى غـير الترخيم للضرورة الشعرية ، ولـه باب فى كتـاب سيبويه(٢٠) ، يقـول فيـه ممـام النحـاة : « هـذا باب ما رخمت الشعراء فى غـير النـداء اضطراراً » .

قـال الراجـز :

وقـد وسـطت مالـكا وحنظـلا(٢١)

---

(١٩) الريحانة ١١٣/٢ .

(٢٠) انظـر الكتاب لسيبويه ٢٦٩/٢ وما بعدها ، ط. الهيئة المصرية العـامة للكتاب .

(٢١) هـو غيلان بن حريث ، ووسطتهم : توسطتهم فى الشـرف ، ومالك هـو مالك بن حنظلة بن تميـم ، وهـو ابو دارم بن مالك .
والشاهد فيـه ترخيم « حنظلة » فى غـير النداء للضرورة ..
وانظر امالى ابن الشجرى ١٢٧/١ ، ط. حيدر أبـاد سنة ١٣٤٩ هـ ومجالس ثعلب ص٣٠٦ ، ط. دار المعارف سنة ١٣٦٩ هـ تحقيق الشـيخ عبد السلام هـارون ، ولسان العرب لابن منظـور (و س ط) .

وقـال ابن أحمـر :

أبـو حنـش يؤرقنـا وطـلق
وعمـار وآونـة أثـالا(٢٢)

يريـد « أثالـة » ..

وقـال جـرير :

ألا أضـحت حبـالكم رمامـا
وأضحت منـك شاسعة أمامـا(٢٣)

وما عـده سيبويه من ذلك ضرورة لم يذكـره غـيره على أنـه ضرورة ممـا يستنتج منـه جـواز الحـذف ، ففى اللسـان : قـال غيـلان بن حـريث :

وقـد وسـطت مالـكا وحنظـلا

إنمـا أراد : وحنظـل ، لأنـه رخـه فى غـير النـداء ، ثم أطـلق القافيـة(٢٤) .

وهـذا يدفعنا الى أن نتعرض لمـا ذكره الأنبارى فى الانصاف ، حيث ذكـر فى المسـألة الثامنة والاربعين أن هنـاك خلافاً بين البصريين والكوفيين فى ترخيـم المضاف بحـذف آخـر المضاف اليـه ، حيث

---

(٢٢) من الوافـر ، والشاهد فيه ترخيم « أثالـة » فى غـير النداء ضرورة ، وانظـر امالى ابن الشجرى ١٢٦/١ ، والخصائص ٣٧٨/٢ ، والانصاف ٣٥٤/١ .

(٢٣) من الوافـر ، والحبال : حبال الوصال واسبابه ، والرمـام : جمع رميـم وهـو الخلق البالى ، وانظر ابن الشجرى ١٢٦/١ ، والانصاف ٣٥٣/١ ، والتصريح ١٩٠/٢ .

(٢٤) اللسـان (و س ط) .

ذهب الكوفيون الى جـوازه ، وذهب البصريون الى منعـه وذكـر من أدلـة الكوفيين قـول زهـير :

خذوا حظكم يا آل عكـرم واحفظوا
أواصرنا والرحـم بالغيب تذكر(٢٥)

أراد يا آل عكـرمة ..

إلى أن قال فى رد البصريين ما استشهد به الكوفيون : « فالترخيم فى غـير النـداء للضرورة ممـا لا خـلاف فى جـوازه ، فالشواهد عليـه أشـهر من أن تذكـر ، وأظهـر مـن أن تنـكر ، وكمـا أن الترخيـم فى ذلك كلـه لا يدل على جـوازه فى حـالة الاختيار فكذلك جميـع ما استشهدوا بـه من الأبيات ، وإذا كان الترخيم يجـوز

---

(٢٥) فى ديوان زهير ص٢١٤ ، ط. دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ م
خـذوا حظـكم يا آل عكـرم واذكـروا
اواصـرنا والرحـم بالغيـب تذكـر
من قصـيدة من الطـويل مطلعهـا :
رأيت بنى آل امـرىء القيس اصـفقوا
علينـا وقـالوا أننـا نحـن اكثـر
وقيـل الشـاهد :
وانـا واياكـم الى مـا نسـومكم
ليمثـلان او أنتـم الى الصـلح افقـر
وبعـده :
وانـا واياكـم الى مـا نسـوقكم
ليمثـلان او نتـم الى الصـلح افقـر
ويروى الشـاهد كمـا جـاء فى شرح ديـوان زهـير لثعلب ص٢١٤
خـذوا حظـكم من ودنـا أن مسـنا
اذا ضرستنا الحـرب نـار تسـعر

لضرورة الشعر فى غير النداء فلأن يجوز ترخيم المضاف لضرورة الشعر فى النداء كان ذلك من طريق الأولى(٢٦) .

وأقول : إن المسألة مضطربة ، حيث ان سيبويه ذكر بيت زهير فى باب ما يرخم فى الشعر للضرورة فى غير النداء(٢٧) ، وما غر صاحب الانصاف وغيره سوى نص فى كتاب سيبويه ، يقول فيه صراحة : « واعلم أن الترخيم لا يكون فى مضاف إليه ، ولا فى وصف ، لأنهما غير منادبين »(٢٨) .

لكن ذلك فى موضع آخر ، ذكر فيه سيبويه شروط المرخم ، ولم يردفه بالشاهد المذكور فى الانصاف .

وفى تعقيب ابن يعيش على قول زهير يقول : « وهذا محمول عندنا على الضرورة ، وحاله حال ما رخم فى غير النداء للضرورة »(٢٩) .

ومعنى ذلك أن البصريين لا يقولون بترخيم المضاف أصلا وجميع ما ورد من ذلك محمول على الضرورة ، وكما صرح سيبويه فى غير النداء فخرجت القضية عن أصلها ، فأين محل النزاع ؟!

إذا كان محل النزاع للقول بترخيم المضاف ، وذلك بحذف اخر المضاف اليه فالمسألة لا تخرج عن أن تكون كلامية فقط .

وإذا كان محل النزاع شاهداً ، فان سيبويه لم يتعرض له

---

(٢٦) الانصاف ١/٣٥٦ .
(٢٧) انظر الكتاب ٢/٢٠ .
(٢٨) الكتاب ٢/٢٤٠ .
(٢٩) شرح المفصل ٢/٢٠ .

فى باب النـداء بـل ولم يذكـره أصـلا فيـه ، وانمـا ذكره كمـا قلنـا فى باب ما رخمت الشعراء فى غـير النـداء للضرورة •

* الحـذف للترخيـم :

والترخيـم لغـة التسهيل ، يقـال : صـوت رخيـم ، أى لين سـهل ، والمقصود بـه فى باب النـداء حـذف آخـر الاسم المنادى جـوازاً لغرض هـو التخفيف ، وقـد اشترط فى المنـادى المرخـم ما يأتى :

١ ــ أن يكـون معـرفة •

٢ ــ أن يكـون غـير مضاف ، وقـد سبق أن بينـا ذلك •

٣ ــ أن يكـون غـير مندوب ، فـلا يرخم نحو « واجعفراه »•

٤ ــ أن يكـون غـير مستغاث ، فـلا يرخم المستغاث ، سـواء أكـان مجـروراً باللام نحـو : ياالله للمسلمين ، أم مفتوحاً بزيادة الألف نحـو : يا زيـدا لعمـرو ، أم مجـرداً منهما نحـو يا زيـد لعمـرو •

٥ ــ أن يكـون غـير مركب تركيبا إسنادياً ، فـلا يرخم نحـو « قامت فاطمـة وتأبط شـراً » وذلك لأنهـا محكية بحالها وإن أجازه ابن مـالك على قلـة •

٦ ــ أن يكـون غـير مختص بالنداء ، فـلا يرخم نحـو « يا فل ويا فلة »(٣٠) ، وذلك لأنـه لـزم النداء لخفتـه باقتصـاره على أصـلين •

---

(٣٠) يا فـل كناية عن العلم ، كقولك يا فلان ، فهو بمنزلة قولك يا رجـل ويا امرأة وهـو مما حذف منـه حرف ، وبنى على حرفين كـ « دم » وليس أصله « فـلانا » وإذا عنوا امـرأة قالوا : « يا فـلة » ولا يكونان الا كنـاية لمنـادى ، وانظـر الارتشاف ١٤٩/٣ .

٧ ــ أن يكــون غــير مبنى لسبب غــير النداء ، فــلا يرخــم نحــو « حــزلم وخمسة عشر » لعــدم تأثــره بالنــداء .

٨ ــ أن يكــون ترخيمه غــير موقــع فى لبس ، نحــو « فتاة » مــان حــذف التــاء يلبس بالمذكــر غــير المرخم ، وكذلك ترخيــم « زيدون » بحــذف الــواو والنــون يلتبس بالمفــرد(٣١) .

هــذا ، إذا كان الذى أريــد ترخيمه منتهيا بتــاء التأنيث ، أمــا إذا كان المنــادى عــارياً من تــاء التأنيث فلابد من شرطين آخــرين لترخيمــه :

الأول : أن يكــون علمــاً .

الثانى : أن يكــون زائداً على ثلاثة أحــرف(٣٢) .

هــذا ما قــرروه ، وهــو مختلف فيــه ، ولولا خــوف الاطالة لفصلت القــول فى هــذا الخــلاف لكنى أرى السماع فيــه حجــة قــوية تخفف من ثقــل تلك الشروط .

وفى المرخــم لغتــان :

الأولى : لغــة مــن ينــوى المحذوف ، وهى الاكثــر ، تقــول : يا جعف فى « يا جعفــر » (بفتــح الفــاء) .

والثانية : لغــة من لا ينويه ، وتسمى لغــة التمام ، فيقولون فى « يا جعفــر » يا جعف(٣٣) (بضــم الفــاء) .

---

(٣١) انظــر شرح المفصل ١٦/٢ ، والأشمونى مع الصبان ١٧٢/٣ والتصريح ١٨٤/٢ ، وهمع الهوامع ١٨١/١ .

(٣٢) انظــر الارتشاف ١٥٢/٣ وما بعدها والهمــع ١٨١/١ .

(٣٣) وانظــر الكافية ١٥٥/١ واسرار النداء للأستاذ الدكتور ابراهيم حســن ص١٠٤ وما بعدها .

وأمـا الوجـه الثانى الذى نناقش فيـه الشهاب فهـو قوله إن أفعـاله ـ ﷺ ـ لا يقـاس عليها ، فـانه كلام غـير محقق ، وذلك لأن أفعـاله ـ ﷺ ـ أقسـام :

منهـا ما سـاوته فيـه أمتـه .

ومنهـا ماهو جبلى كالموجود منـه اضطراراً كالقيام والجلوس .

ومنهـا المختص بـه .

ومنهـا ما فعـله بيـاناً لحكم مجمـل ، أو تقييداً لحكم مطلق .

ولا خـلاف بين الفقهـاء فى القياس عليهـا عـدا المختص بـه ففيه أوجـه من الخـلاف(٣٤) .

*** القـول فى « أشـياء وأسـماء » :**

وفى ترجمـة الشهاب الخفاجى للقـاضى أحمـد المحلى المالكى يقـول : « وكان جمعنى وإيـاه نطاق الزمان ، فقال لى : لم منـع صـرف أشياء مع صـرف « أسماء » ، فقلت لـه ملاطفاً : **« يا أيهـا الذين آمنـوا لا تسألوا عن أشـياء »(٣٥)** ثم كتبت لـه مضمنا :

أشياء لفعـاء فى وزن وقـد قلبـوا
لاماً لهـا وهى قبـل القلب شيئاء

وقيل « أفعال » لم تصرف بلا سـبب
منهـم وهـذا لوجه الضعف إيمـاء

---

(٣٤) ينظـر فى ذلك المحقق من عـلم الأصول فيما يتعلق بأفعـال الرسول للإمام أبى شـامة « ت ٦٦٥ هـ » بتحقيق أحمـد الكوبتى ، ط. المدنى ، الثانية ١٩٩٠ .

(٣٥) المـائدة : ١٠١ .

أو أشياء وحـذف اللام عن ثقـل

وشيء أصـل شيء وهـى آراء

وأصـل أسماء أسماو كبـاب كسـا

فاصرفه حتمـاً ولا يغـررك أسـماء

ومنـع صرف إذا ما كان فى عـلم

لأجـل تأنيثـه والاصـل وسـماء

نقـل لمن يدعى فى العـلم توسـعة

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء(٣٦)

وفى أشـياء خمسـة آراء :

الأول : وهـو مذهب الجمهور ، واليـه ذهب الخليـل وسيبويه والمـازنى وأكثـر البصريين أن « أشياء » اسـم جمع لا جمع مثـل « طرفـاء » وأصلها شيئاء بهمزتين بينهمـا ألف ، ووزنها « فعـلاء » فقدمت الهمـزة الأولى التى هى لام الكلمة على الفـاء ، لاستثقال همزتين بينهمـا ألف ، وقبلهما حـرف علـة « اليـاء » فوزنهـا : هعـاء ، وقـد عللوا ذلك بأن القلب فى كلامهم كثـير ، فـلا يضـر الاعتراض بأنه على خلاف الأصـل ، وعلى ذلك يكـون منـع الصرف لألف التأنيث .

والثـانى : وهو مذهب الفـراء أن « أشياء » جمـع « شيء » بيـاء مشـددة وهمـزة بزنـة « هـين ولـين » خففت كمـا قالوا فى « ميت : ميت » ثم جمـع بعـد تخفيفه على « أشـيئاء » بهمزتين بينهمـا ألف على وزن أفعـلاء فلمـا اجتمـع همزتان إحداهمـا لام

---

(٣٦) الريحانة ٢/١٤١ .

الكلمة ، والأخرى للتأنيث ، خففوه بقلب الهمزة الأولى ياء ، التى هى عين الكلمة ، فصار وزنه أفعلاء .

والثالث : وهو مذهب الأخفش أن أشياء جمع « شيء » على وزن فلس بفتح الفاء ، « وفعل » يجمع على أفعلاء ، فجمع على أشيئاء بهمزتين بينهما ألف بعد ياء ، ثم حدث فيه ما سبق .

والرابع : وهو مذهب الكسائى أنها جمع شيء على وزن أفعال ، مثل ضيف وأضياف .

والخامس : أنها على وزن « أفعلاء » جمع « شيىء » بوزن فعيل كـ « نصيب وأنصباء ، وصديق وأصدقاء » فحذفت الهمزة الأولى التى هى لام الكلمة ، وفتحت الياء لتسلم الألف ، فصارت أشياء بوزن أفعاء ثم صرف على مذهب الأخفش ، فأبدل الهمزة ياء ، ثم حذفت إحدى الياءين ، وحسن حذفها من الجمع حذفها من المفرد ، لكثرة الاستعمال ، وعدم ضعف صرفه لهمزة التأنيث الممدودة ، (أنظر مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب ١/٢٤٨) .

وقد ضعف مذهب الفراء من وجوه ثلاثة :

الأول : أن حذف الهمزة على غير قياس .

والثانى : أن الأصل لو كان « شيئا » لكان أكثر استعمالا من المخفف وذلك بالقياس إلى نظائره وأمثاله ، ألا ترى أن « سيداً « وميتاً » أكثر من « سيد وميت » فى الاستعمال .

والثالث : أنك تصغر « أشياء » على « أشياء » ، ولو كان أفعلاء جمع كثرة لوجب رده فى التصغير إلى مفرده(٣٧) .

---

(٣٧) انظر شرح الشافية ١/٣٠ .

وقد احتج البصريون بأن القلب فى كلامهم كثير ، ويقول الأنبارى « انما قلنا إن « أشياء » على وزن « لفعاء » ، لان الأصل فيه شيئاء بهمزتين على فعلاء كطرفاء وحلفاء ، فاستثقلوا اجتماع همزتين ، وليس بينهما حاجز قوى ، لأن الألف حرف زائد خفى ساكن والحرف الساكن حاجز غير حصين ، فقدموا الهمزة التا هى اللام على الفاء »(٣٨) •

والرأى عندى أن ما ذهب اليه الكسائى أولى وأفضل لما يأتى :

١ ــ أنه جاء على الأصل •

٢ ــ أن القلب وإن كان فى كلامهم كثيراً • الا أنه غير قياسى وأنه على خلاف الأصل •

٣ ــ أن غيره من المذاهب أشبه بمسائل التمرين والأمثلة الافتراضية بما فيها من تكلف ظاهر ، وثمرتها قليلة •

٤ ــ أنه لا اعتراض عليه سوى هذا السؤال : ما سبب منع « أشياء » من الصرف إذا كان على أفعال ؟

والاجابة عن هذا السؤال للكسائى نفسه ، حيث قال : انه كثر فى الكلام فأشبه فعلاء فلم يصرف كما لم يصرف حمراء ، وقد جمعوها على أشاوى كما جمعوا عذراء على عذارى وأشياوات كحمراء وحمراوات فعاملوا أشياء وان كانت على أفعال معاملة حمراء وعذراء فى جمعى التكسير والتصحيح ، فاذا قال قائل : إن الكثرة تقتضى تخفيفه وصرفه ، قيل ان بعض العرب قد

---

(٣٨) الانصاف فى مسائل الخلاف ٢/٨١٥ المسلة رقم « ١١٨ » .

اعتبروا فى باب مـالا ينصرف الشـبه اللفظى(٣٩) أى مشابهة أشياء فى لفظهـا نحـو حمـراء .

أمـا « أسماء » فهى مصروفة ، قـال تعـالى : « **إن هى الا أسماء سميتموها أنتـم وآباؤكم ما أنزل الله بهـا من سلطان** »(٤٠) وقـول الخفـاجى « كباب كسـا » إشـارة إلى أن الهمزة فى أسماء أصلها واو ، فلمـا وقعت إثـر ألف زائـدة ، وهى متطرفة قلبت همـزة على القـاعدة الصرفية المعـروفة(٤١) .

وأمـا قـوله فى نظمـه « لا يغررك أسـماء » فمعناه أن أشياء ليسـت مثـل أسـماء ، حيث إن أسماء تمنـع من الصرف للعلمية والتأنيث نحـو « أسـماء بنت أبى بكـر ذات النطـاقين » تقـول جـاءت أسماء ، ورأيت أسماء ، ومررت بأسماء ، لكنك تقـول : بكتب الفهارس أسماء كثـيرة للكتب ، وإذا سمى بأسماء رجـل فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وهـو عند الفـراء اسم جمـع سمى بـه فكثر فى تسميته فعـد من أسمائه ، وأصله عند سيبويه وسماء على وزن فعـلاء وامتنـع من الصرف للتأنيث اللازم ، فـاذا نكـر بعـد التسمية صرفه الفـراء ، ومنـع صرفه سيبويه ، يقـول أبو حيان : « وأسماء اسـم رجـل ممنوع الصرف ، فعـلى مذهـب الفـراء وهـو أنـه اسـم جمـع سمى بـه ، فكثـر فى تسميته المؤنث ، حتى عـد من أسمائه فامتنـع للعملية والتأنيث ، وعلى مذهب سيبويه وهـو أنـه فعـلاء وهمزته بدل من واو ، وأصـله وسماء ،

---

(٣٩) عنـاية القاضى وكفاية الراضى ٢٨٧/٣ .

(٤٠) النجـم : ٢٣ .

(٤١) وانظـر شرح شافية ابن الحاجب للرضى ١٧٣/٣ .

فامتنع للتأنيث اللازم ويظهر الفرق إذا نكر بعد التسمية منصرف على مذهب الفراء ، وممتنع على مذهب سيبويه(٤٢) .

*** حذف اللام من تعالى :**

وفى كلام الخفاجى عن أبى فراس الحمدانى ذكر من شعره :

أقول وقد ناحت بقربى حمامة
أيا جارتى هل بات حالك حالى

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببالى

أتحمل محزون الفؤاد قوادم
على غصن نائى المسافة عالى

أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا
تعالى أقاسمك الهموم تعالى(٤٣)

ثم قال : « وقد لحن فى قوله « تعالى » ، إذ كان حقه فتح اللام ، لأن الأصل « تعاليى » بياءين ، ياء مفتوحة ، وياء ساكنة فأعلت الأولى ، وحذفت لالتقاء الساكنين .

وممن ذكر هذا ابن هشام فى شرح الشذور من غير خلاف فيه بين أهل العربية .

أقول : هذا هو المعروف بين أهل العربية ، وعندى أنه

---

(٤٢) الارتشاف ١/٤٤١ ، ٤٤٢ .
(٤٣) ديوان بى فراس ٢/٣٢٥ ، ط. بيروت سنة ١٩٥٩ م .

غير مسلم ، فان قتادة روى عن الحسن البصرى أنه قرأ (قل تعالوا) بضم اللام كما ذكره ابن جنى فى المحتسب ، وقال : وجهه أنه حذف لام تعاليت استحسانا وتخفيفاً ، فلما زالت لام الكلمة ضمت اللام ، لوقوع الواو بعدها ، كقولك : « تقدموا وتأخروا » ونظيره : ما باليت به بالة ، وأصله : بالية كالعافية والعاقبة ، ثم حذفت كما تقول : اسعوا أمراً من « سعى » .

ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائى فى « آية » على أن أصله « آيية » زنة « فاعلة » .

ونظير ما نحن فيه (أيضاً) قراءة الحسن فى قوله عز وجل : « **إلا من هو صال الجحيم** »(٤٤) بضم اللام ، استخفافاً ، وللى أنه يجوز أن يكون أراد « صالون الجحيم » فحذفت النون للاضافة ، وحذف الواو التى هى علم الجمع لفظاً حملا على المعنى ، كقوله (تعالى) : « **ومنهم من يستمعون إليك** »(٤٦) ، ثم قال الخفاجى : « أقول : ان « تعال » استعملوه على وجهين :

---

(٤٤) الصافات : ١٦٣ .

(٤٥) التقاء الساكنين لا يكون فى وصل الا وأولهما حرف لين وثانيهما مدغم متصل لفظا نحو « الضالين » أو حكما نحو اضربن ، وفى لغة لتميم يقلبون الالف همزة ، قيل لامرأة منهم : ما اذهب أسنانك ؟ فقالت : اكل الحأر وشرب القار .

وان كان الأول حرف مد ، والثانى غير مدغم وذلك من كلمتين حذف نحو « يرمى القوم » وان كان مدغما ففيه اللغتان الحذف والاثبات والمشهور الحذف ، وانظر الارتشاف ٣٤١/١ .

(٤٦) يونس : ٤٢ ، « ومن » مبتدأ خبره « يستمعون » ، وأعادة

أحدهما : وهـو الفصيح المشهور أن تحـذف اليـاء التى هى لام الكلمـة ، لالتقـاء الساكنين بعـد قلبها ألفـاً ، فتبقى الـلام التى قبلهـا على فتحهـا ، لأن المحذوف لعـلة كالموجـود .

والثـانى : أن تحـذف ابتداء ، للتخفيف نسـيا منسـياً(٤٧) ، فيبقى ما قبلهـا آخـر الكلمـة ، فيحرك بحـركة تجانس للضـمير المتصـل بهـا ، فيقال « تعـال » بكسر اللام كـ « قطـام »(٤٨) ، وبـه قـرىء فى الشـواذ الا أن الظاهـر أنـه غـير مقيس ، فهل يقـال : إن التكلم بمثـله فى تركيب آخـر لحـن وخطـأ أولا ؟ محـل نظـر ، وهـذا جـار فيما قـاله أبو فـراس ثم انـه أشار الى أن « تعـال » أمـر بالعـلو ، أريد بـه الحضور والتقـدم وشـاع حتى صـار حقيقة فيـه ، وهـو تحقيق نفيس ينبغى حفظـه فى خـزائن الأذهـان ، وفى الدر المصـون : استثقلت الضـمة على اليـاء فحذفت ، ثم حذفت اليـاء ، لالتقـاء الساكنين ، أو قلبت

الضمير جمعـا مراعاة لمعنى « مـن » والاكثر مراعاة لفظها ، كقوله تعالى : **« ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون » يونس : ٤٣**

قال ابن عطية : جـاء « ينظر » على لفظ « مـن » واذا جـاء على لفظهما جاز أن يعطف عليه آخـر على المعنى ، واذا جـاء الأول على معناها فـلا يجوز ان يعطف الآخـر على اللفظ ، لأن الكلام يلبس حينئذ رايس كمـا قـال ، بـل يجوز أن يراعى المعنى أولا ، فيعاد الضمير على حسب ما يـراد من المعنى من تأنيث وتثنيـة وجمـع ثم يراعى اللفظ فيعاد الضمير مفـردا مذكرا ، وفى ذلك تفصيل لا يتسع المجال لـه ، وانظر الفتوحات الالهية للجمـل ٣٥١/٢ .

(٤٧) اقتباس من قـوله تعالى فى سورة مريم : ٢٣ **« مت قبل هـذا وكنت نسـيا منسـيا » .**

(٤٨) قطام من أسماء النسـاء ، وأهـل الحجاز يبنونه على الكسر فى كـل حـال ، وأهـل نجـد يجـرونه مجـرى مالا ينصرف ، وانظـر اللسان (ق ط م) .

لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ألفاً ، وحذفت لالتقاء الساكنين ؛ وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام ، ووجهت بأن الضمة استثقلت على الياء فنقلت الى اللام بعد حذف حركتها وعندى أنهم تناسوا المحذوف حتى توهموا أنها بنيت كذلك ، وأن اللام آخرها حقيقة ، حتى ضمت مع الواو وكسرت مع الياء ، كما قالوا : لم أبل ، وقال الزمخشرى : وعلى هذا قول الحمدانى ، وعاب هذا عليه من قال انه مولد لا يستشهد بكلامه ، وليس بعيب ، فانه انما ذكره استئناساً ، ولا يعاب عليه ما عرفه ونبه عليه(٤٩) .

ونحن أمام قضية تثير فى نهايتها السؤال الذى جعله الخفاجى محل نظر وهو « هل يقاس على نحو (تعالى) أو لا ؟ » .

والقضية كما ذكرها الشهاب تتلخص فى حذف اللام من أول الأمر قبل الاعلال ، فيكون مثل « تقدمى وتأخرى » ونص الزمخشرى : « وقرأ الحسن « تعالوا » بضم اللام على أنه حذف اللام من « تعاليت » تخفيفاً كما قالوا : ما باليت به بالة ، وأصلها « بالية » كعافية ، وكما قال الكسائى فى « آية » إن أصلها « آيية » فاعلة فحذفت اللام ، فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من « تعال » فضمت فصار « تعالوا » نحو « تقدموا » ومنه قول أهل مكة « تعالى » بكسر اللام للمرأة(٥٠) .

ولكى نجيب عن سؤال الشهاب الخفاجى يجب أن ننظر فى

---

(٤٩) الريحانة ٢/٤٩٠ .
(٥٠) الكشاف ١/٥٣٦ .

وجه القياس فاذا قيل إنه ورد فى القراءات القرآنية كقراءة الحسن فى آية الأنعام(٥١) ، كما ورد فى شعر أبى فراس السابق قلنا : إن الاستشهاد بالقراءات الشاذة فى اثبات اللغة محل خلاف بين العلماء ، وشعر أبى فراس لا يحتج به عند بعضهم أيضاً كما مر .

وعلى ذلك فان القطع بالقياس على ذلك أمر له يسلم ، والقياس عندئذ يكون على غير الأفصح لكننا نقول مطمئنين : إنها لغة فصيحة وقد دافع الزمخشرى عن أبى فراس كما ذكر الخفاجى ، وقد قيل فى حقه أيضاً : « بدىء الشعر بملك يعنى امرأ القيس ، وختم بملك يعنى أبا فراس »(٥٢) .

*** إبدال الصاد زايا :**

وذكر الخفاجى إبدالهم الصاد زايا فى قولهم « لم يحرم من غزدله » وهو مثل يضرب لمن طلب شيئا لا يتيسر له ، فيقال له : اقنع بما تيسر من القليل ، وأصله أن الضيف يقبل فى زمن القحط والجفاف آملا أن ينحر له من نزل عنده ، فيقصد رب الدار راحلته ويقدم له شيئا منها قائلا له : اقنع بهذا ، فانى لا أقدر على أكثر منه ، يقول الشهاب : « وأصله : فصد بضم الفاء ، وكسر الصاد ، فسكنت (الصاد) للتخفيف وحينئذ يجوز ابقاؤه على أصله ، وإبدال صاده زايا ، أو يشم ، وهى لغة فصيحة فى الصاد بشرط سكونها سكوناً أصليا أو عارضا كما هنا .

---

(٥١) ينظر المحتسب لابن جنى ١٩١/١ .
(٥٢) حاشية عبادة على الشزور ٤٠/١ .

وفى كتب العربية أن هناك شرطـا ثانيـاً ، وهـو أن يكون بعدها دال ، وبـه قـرىء فى نحـو « فاصـدع »(٥٣) وفيـه نظـر ، لأنه قـرىء بـه فى « صراط »(٥٤) و « مصيطر »(٥٥) ولا دال فيـه ، فلعـله شرط لمـا هـو مطـرد مقيس(٥٦) .

وأقـــول :

يجـوز فى الصـاد الساكنة الواقعة قبـل الدال قلبهـا زايـاً صريحـة خالصة ويجـوز إشرابها صـوت الزاى ، أمـا الابدال فلأن الصـاد مطبقـة مهموسة رخـوة ، وقـد جاورت الدال بلا حـائل من حـركة أو غيرهـا ، والدال مجهـورة شـديدة غـير مطبقـة ، ولم يبدلوا الدال كمـا فى تـاء « افتعـل » نحـو « اصطبر » لأنهـا ليسـت بزائدة كالتـاء فتكون أولى بالتغيير فغـيروا الأولى لضعفها بالسـكون بأن قربوها من الدال ، بأن قلبوها زايـاً خالصة ، فتناسبت الأصـوات ، لان الزاى من مخـرج الصـاد ، كمـا أنهـا أختهـا فى الصفير ، وهى تناسب الدال فى المجهـر ، وعـدم الاطباق ، ومن ضـارع أى نحـا بالصـاد نحـو الزاى ولم يقلبهـا زايـا خالصة فللمحافظة على فضيلة الاطبـاق(٥٧) .

ويقـول ابن جنى : « ومثـله من الصـاد : ازدقى فى اصدقى ، وزدق فى صـدق ، قـال :

ودع ذا الهوى قبل القلى ترك ذى الهوى
متـين القوى خـير من الصرم مـزدرا

---

(٥٣) الحجـر : ٩٤
(٥٤) الفاتحـة : ٧ .
(٥٥) الغاشية : ٢٢ .
(٥٦) الريحانة ٢/٤١٦ .
(٥٧) انظـر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٢١ ، ٢٢٢ .

وقـــال الآخـــــر :

يزيـــــــد زاد اللـــه فى خـــــيراته
حـــامى نـــزار عنـــد مزدوقـــاته

أى مصـــدوقاته(٥٨) .

ونحن نـــرى أن ابن جنى فى النص الســـابق لم يذكـــر واحـــداً من الشرطين اللذين ذكرهما الشهاب والرضى ، وقـــد ذكرهما سيبويه ، وعنـــه نقـــل المتأخرون كالرضى والشهاب ، ونصـــه ـــ رحمـــه الله ـــ « فأمـــا الذى يضـــارع بـــه الحـــرف الذى من مخـــرجه ، فالصـــاد الساكنة إذا كانت بعدهـــا الدال ، وذلك نحـــو مصـــدر ، وأصدر ، والتصدير ، لأنهمـــا قـــد صـــارتا فى كلمـــة واحـــدة كمـــا صـــارت مع التـــاء فى كلمـــة واحـــدة فى « افتعـــل » فـــلم تدغـــم الصـــاد فى التـــاء ، ولم تدغـــم الدال فيهـــا ، ولم تبدل ، لأنهـــا ليســـت بمنزلة « اصطبر » وهى من نفس الحـــرف من باب « مددت » فجعلوا الأول تابعـــاً للآخـــر ، فضارعوا بـــه أشـــبه الحـــروف بالدال من موضعه ، وهى الـــزاى ، لأنهـــا مجهـــورة غـــير مطبقة ، ولم يبدلوها زايـــاً خالصة ، كراهية الاجحاف بهـــا للاطباق ، وسمعنا العـــرب الفصحاء يجعلونها زايـــا خالصة كمـــا جعلوا الاطباق ذاهبا فى الادغام ، وذلك قولك فى التصـــدير : التزدير ، وفى الفصـــد : الفـــزد ، وفى أصـــدرت : أزدرت(٥٩) .

---

(٥٨) سر الصناعة ١/٢٠٨ ، والبيتان لم أعثر على قائليهما ، والأول من الطويل ، والثانى من الرجـــز ، والقـــلى : بكسر القاف : البغض والصرم بفتـــح الصاد وضمها ، والضـــم أفصح : القطيعة والهجـــر والشاهد فى قـــوله « مـــزدرا » حيث قلب الصـــاد زايـــا ، وانظر اللسان ، (ص د ر) ، (ص د ق) .

(٥٩) الكتاب ٤/٤٧٧ ، ٤٧٨ .

وعلى ذلك قـرىء « فاصدع » كمـا ذكـر الشهاب فلا خـلاف . يقـول ابن الجـزرى : « واختلف فى أصدق ، وتصديق ، ويصدقون . وفاصدع ، وقصـد ويصدر ، وما أشبهه إذا سكنت الصـاد ، وأتى بعدهـا دال ، فقـرأ حمـزة والكسائى وخلف باشمام الصاد زايـاً ، ووافقهم رويس فى يصـدر فى القصص(٦٠) والزلزلة(٦١) ، واختلف عنـه فى غـيره ، فـروى عنـه النخاس والجوهرى كذلك بالاشمام جميـع ذلك ، وبـه قطـع ابن مهران لـه ، وروى عنـه أبو الطيب وابن مقسـم بالصـاد الخالصة وبـه قطـع الهـذلى(٦٢) .

وقـد ورد عن حمـزة إشمام الصـاد زايـا فى جميع القـرآن الكـريم ، يقـول ابن الجـزرى فى قـوله تبـارك اسـمه : **« صراط الذين أنعمت عليهـم »(٦٣)** بالصـاد ، وبـه قـرأ الباقون إلا حمـزة ، فـروى عنـه خلف باشمام الصـاد زايـا فى جميـع القـرآن ، واختلف عن « خـلاد » فى اشـمام الأول فقط ، أو حرفى الفاتحـة خاصـة(٦٤) .

*** وقفـة مع الخفـاجى :**

وفى النص الذى نقلنـاه عن الشهاب فى هـذه المسـألة قـال ما نصـه : « وفى كتب العربية أن هناك شرطا ثانيـاً وهـو أن يكون بعدهـا دال ، وبـه قـرىء فى نحـو « فاصدع » وفيـه نظـر ،

---

(٦٠) من الآيـة : ٢٣ .
(٦١) من الآيـة : ٦ .
(٦٢) النشر فى القراءات العشر ٢/٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٦٣) الفاتحـة : ٧
(٦٤) النشـر ١/٢٧٢ .

لأنه قرىء به فى « صراط ومصيطر » ، ولا دال فيه فلعله شرط لما هو مطرد مقيس » .

وقد بينا ذلك فى هذا البحث ، ورجعنا إلى القراءات التى أشار إليها لكننا نقف هنا عند قوله « وفيه نظر » فان من يقرأ ذلك يظن أن ما جاء به الخفاجى جديد ، ألا وهو قلب الصاد زايا ، وليس بعدها دال ، ودليل الشهاب ما ذكر من القراءات فى نحوه مثل « صراط ومصيطر » وقد بيناه .

وأقول إن ما ذكره الخفاجى هنا قد ذكره سيبويه فى كتابه ، ونصه : « وربما ضارعوا بها وهى بعيدة نحو « مصادر ، والمصراط » لأن الطاء كالدال ، والمضارعة هنا وان بعدت الدال بمنزلة قولهم « صويق ومصاليق » فأبدلوا السين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شىء فى « صقت » ونحوه »(٦٥) .

ويمكننا الآن فى ضوء ما سبق أن نقرر القواعد الآتية :

١ ــ يجوز فى الصاد الساكنة التى بعدها دال أن تبدل زايا .

٢ ــ يجوز فى الصاد المتحركة أن تبدل زايا وابقاؤها أحسن .

٣ ــ إذا فصل بين الصاد والدال بحرف علة نحو « مصادر » جاز هذا الابدال .

٤ ــ إذا جاء بعد الصاد طاء جاز هذا الابدال ، لأن الطاء كالدال .

٥ ــ يجوز فى كل ما سبق إشمام الصاد صوت الزاى .

---

(٦٥) الكتاب ٤/٤٧٨ .

❊ إعـراب « بحقـلد » فى شعر زهـير :

وفى قـول زهـير :

تـقى نـقى لـم يكثـره غنيمـة
بنهكة ذى قـربى ولا بحقـلد(٦٦)

ذكـر الخفـاجى وجهين لاعـراب « بحقلد » فقال : (بحقلد : عطف متوهـم ، أى ليس بمتكثر ولا بحقلد ، فهـو معطـوف على مجـرور بـبـاء زائـدة متوهم ، والمعنى أنـه بـراء من النقص ، ولم يكتف بمـا يغنمه ممن يغـير عليـه وينهكه ، ويضعفه بأخـذ مالـه ، وإنمـا يأخـذ ما كانت الملـوك تأخـذه فى الجاهلية ، ولك أن تقـول : انـه معطوف على « بنهكة » من غـير تأويل بمـا قالوه ، والمعنى أنـه لم يكثـر مـال غنائمه بجـوره على أقربائه ومن بجواره ولا بأخـلاقه السيئة من الشـح ، وجـوره على من بجواره فتدبر ، واختـر لنفسـك ما يحـلو(٦٧) .

---

(٦٦) فى ديوانه ص ٢٣٤ من قصيدة من الطويل فى مـدح هـرم بن سنان بن أبى حارثة المـرىء ومطلعهـا :

اذا ابتدرت قيس بن عيـلان غـاية
من المجـد من يسـبق اليهـا يسـود
سـبقت اليهـا كـل طـلق مبـرز
سـبوق الى الغـايات غـير مجـلد
كفضل جواد الخيـل يسبق عنوه السـ
ـراع وأن يجهـدن بجهـد ويبعـد

والنهـكة : النقص والاضرار ، يقـال : نهكته الحمى : ذهبت بجسمه والحقـلد : الضيق البخيـل السيء الخـلق .

والمعنى أن هـرم بن سنان تقى صافى القلب طاهـر ، ليس من طبعه ظـلم أهلـه ، أو الاعتداء على غـيره لتكثير مالـه ، وليس سيء الخـلق بخيـلا ، وانمـا هـو كريم منجـد لأهله معطـاء سباق الى الكرم والخير .

(٦٧) الريحانة ٢/٤١٨ ، ٤٥٤ .

ومن نصه السابق نرى أن الوجهين عنده سيان ، ولكننا فى حاجة الى مناقشة الوجه الأول ، وهو العطف على التوهم(٦٨) ، وذلك لأن العطف على التوهم يحسن فى نحو قولك « ليس زيد قائماً ولا قاعد على توهم دخول الباء فى الخبر ، أعنى خبر ليس ، وهو كثيراً ما يدخل عليه وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم ، وشرط حسنه كثرة دخوله(٦٩) ، فالأمران متوافران فى المثال •

وقد وقع العطف على التوهم فى المجزوم فى قراءة غير أبى عمرو « لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن »(٧٠) •

فان معنى « لولا أخرتنى فأصدق ، ومعنى إن أخرتنى أصدق واحد » ، وقال السيرافى والفارسى : هو عطف على محل فأصدق ، كقول الجميع فى قراءة الأخوين « من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم »(٧١) بالجزم •

قال ابن هشام : « ويرده أنهما يسلمان أن الجزم فى نحو ائتنى أكرمك باضمار الشرط ، فليست الفاء هنا وما بعدها فى موضع جزم ، لأن ما بعد الفاء منصوب بـ « أن » مضمرة ، وأن الفعل فى تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهم مما تقدم ، فكيف تكون الفاء مع ذلك فى موضع الجزم وليس بين المفردين المتعاطفين

---

(٦٨) أى توهم ان قوله « لم يكثر غنيمة » ليس بمكثر ، ثم حذفت الباء من خبر ليس ، فصار « ليس مكثرا » ثم وضعت (لم) موضع ليس وسوف يأتى بيانه وضعفه .

(٦٩) انظر مغنى اللبيب ٤٧٦/٢ .

(٧٠) المنافقون : ١٠ .

(٧١) الأعراف : ١٨٦ .

شرط مقدر ؟ إلى أن قال : وأما المرفوع فقال سيبويه : واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون » وإنك وزيد ذاهبان ، وذلك على أن معناه معنى الابتداء ، فيرى أنه قال هم ، ومراده بالغلط ما عبر عنه بالتوهم وذلك ظاهر من كلامه ، ويوضحه إنشاده البيت(٧٢) وتوهم ابن مالك أنه أراد بالغلط الخطأ فاعترض عليه بأنا متى جوزنا ذلك عليهم زالت الثقة بكلامهم ، وامتنع أن نثبت شيئاً نادراً لامكان أن يقال فى كل نادر إن قائله غلط(٧٣) .

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن العطف على للتوهم مشروط بصحة دخول العامل المتوهم ، أو أن يكون المعطوف عليه فى معنى المتوهم كما ذكرت آنفاً وعلى ذلك يكون ما قاله الشهاب فيه نظر ، لأن اعتبار « بحقلد » معطوفا على توهم « ليس بمكثر أمر بعيد ، لأن الفرق بين قولك « لم يكثر » وقولك « ليس بمكثر » بين ، وعليه نكون قد توهمنا أن « لم » بمعنى « ليس » ، ثم توهمنا أن « مكثر » دخلت عليه الباء ، وفى نظرى أن هذا تكلف ظاهر ، فلم يبق سوى الوجه الثانى الذى لا تكلف فيه وهو اختيارنا .

*** طوباك فى معنى طوبى لك والقول فى كافه :**

وتحدث الخفاجى عن ابن المعتز ، وأورد من شعره قوله :

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك
خانتك بعد لذيذ العيش دنياك

---

(٧٢) وهو قول :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا اذا كان جائيا

(٧٣) انظر مغنى اللبيب ١/٤٧٨ .

مرت بنـا سحراً طـير فقلت لهـا

طـوباك يا ليتنـا إيـاك طـوباك

لكن هـو الدهـر فالقيه على حـذر

فرب مسك بـه والحب أشراك(٧٤)

ثم قـال : « وممـا عـابوه عليـه قـوله طوباك ، قـالوا : صـوابه طـوبى لك ، وفيـه نظـر عندى ، فـانه اذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجـه من وجـوه الكلام ، ثم استعمل على وجـه آخـر جـار على قواعـد العربية ، مـؤد لذلك المعنى كيف يعـد خطـأ ، فـان اللام هنـا مقـدرة والمقـدر فى حـكم الملفوظ ، فمـا الفـرق بين طـوبى لك وطـوباك حتى يقـال إن الثـانى لحـن ؟

وهـذا كمـا قيـل إن « كافـة » لا تكون الا نكـرة منصوبة حـالا كمـا ذكـره الحريرى(٧٥) ، وقـال ان غـيره لحـن ، كقول الزمخشرى : بكـافة الأبواب(٧٦) وهـو غـير مسلم ؛ ولم أر من تعـرض لـه من المتقدمين(٧٧) .

ونحن أمـام مسألتين ذكرهما الخفـاجى فى نصـه السـابق .

الأولى : أن ما قـاله ابن المعتـز صحيح فى « طوباك » بمعنى طـوبى لك ولعلنا نجـد لهـا نظيراً فى كلام العـرب ، فقد جـاء فى الكتـاب : إن العـرب قـد تقـول : لا أباك فى معنى لا أبالك(٧٨) يقـول المبـرد : أمـا قولك لا أبالك فانما تثبت اللام ، لأنك تريـد

---

(٧٤) أشراك : اصطادك ، وانظـر اللسان (ش ر ك) .
(٧٥) درة الغواص للحريرى ص٢٥ ، ط. الجوائب سنة ١٢٩٩ هـ .
(٧٦) فى خطبـة المفصـل .
(٧٧) الريحانة ٤٨٣/٢ .

الاضافة ، ولولا ذلك لحذفتها ، ألا ترى أنك تقول : هذا أب لزيد ، ومررت بأب لزيد ، فيكون على حرفين ، فان قلت : هذا أبوك رددت ، وكذلك : رأيت أباك ومررت بأبيك إنما رددت للاضافة إلى أن قال : « ألا ترى أن قولك : هذا غلامك بمنزلة قولك : هذا غلام لك »(٧٩) .

وفى ضوء ما تقدم يمكننا أن نقرر أن ما ذكره الخفاجى صحيح ، وأن طوباك بمعنى طوبى لك .

وأما الثانية : فهى خلافهم فى « كافة » ، وهو قائم حول تصرفها كسائر الأسماء من حديث الاضافة والتعريف ، وتغير موقعها فى الجمل ، وليس صاحب درة الغواص هو المتفرد بذلك كما ذكر الخفاجى ، فقد جاء فى القاموس : « جاء الناس كافة أى كلهم ، ولا يقال : جاءت الكافة : لأنه لا يدخلها (أل) ، ووهم الجوهرى ، ولا تضاف »(٨٠) .

وفى اللسان : « لا يجوز أن تبنى ولا يجمع ، لا يقال : قاتلوهم كافات ولا كافين ، كما أنك إذا قلت : قاتلهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة »(٨١) .

ومن النصين السابقين نجد أن « كافة » على ما قرره واجبة التنكير والافراد وهذا ما نقله الخفاجى عن الحريرى فى درته ، وقد جاءت فى القرآن الكريم فى قول الله تعالى

---

(٧٩) المقتضب ٣٧٤/٤ ، ٣٧٦ .
(٨٠) القاموس المحيط (ك ف ف) .
(٨١) لسان العرب (ك ف ف) .

من سورة البقرة : « **يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان** »(٨٢) .

وفى قوله عز من قائل : « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** »(٨٣) .

وفى قوله تبارك وتعالى : « **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** »(٨٤) .

وفى الآية الأولى يقول البيضاوى : « وكافة اسم للجملة ، لأنها تكف الأجزاء عن التفرق حال من الضمير أو السلم ، لأنها تؤنث كالحرب »(٨٥) ، وفى تفسير أبى السعود : « كافة حال من الضمير فى ادخلوا أو من السلم ، أو منهما معا ، وهى فى الأصل اسم الجماعة تكف مخالفها ثم استعملت فى معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث ، حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثاً مثل الحرب وإنما هى للنقل كما فى « عامة ، وخاصة ، وقاطبة » والمعنى : استسلموا لله تعالى ، وأطيعوه جملة ظاهراً وباطناً »(٨٦) ، وكذلك إعرابها فى آيتى التوبة وسبأ ، الا أنها فى اية سبأ تحتمل أكثر من وجه حيث انها يمكن أن تكون حالا من الكاف فى أرسلناك ، والمعنى إلا جامعاً للناس فى الابلاغ ، والكافة بمعنى الجامع ، والهاء فيه للمبالغة كعلامة ، ويمكن أن تكون مصدرا جاء على وزن فاعلة كالعاقبة والعافية ويكون وقوعها حالا إما

---

(٨٢) البقرة : ٢٠٨ .
(٨٣) التوبة : ٣٦ .
(٨٤) سبأ : ٢٨ .
(٨٥) تفسيره ٢٩٦/٢ .
(٨٦) ارشاد العقل السليم ٣٣١/١ ، ٣٣٢ .

على المبالغة ، ولما على حذف المضاف ، أى ذا كافة للناس ، ويمكن أن تكون صفة لمصدر محذوف ، تقديره « إلا رسالة كافة ، والرابع أن « كافة » حال من الناس ، أى للناس كافة » وهو مختلف فيه(٨٧) ، ولست أدرى وجهاً لمن قال : لا يتصرف فيها بالتعريف أو الاعراب على غير الحال سوى أنها وردت حالا فى القرآن الكريم على نحو ما مر فى الآية الثالثة والتى اشتملت على أكثر من وجه غير الحالية وهو كونها صفة لمصدر محذوف ، وعلى ذلك يجوز التصرف فيها ، والا كان كلام الكثيرين خطأ كقول الزمخشرى فى خطبة المفصل وغيره .

والتمسك بقصرها على الحالية أمر يتجافى وطبيعة اللغة العربية ، التى بنيت على اليسر والسهولة والاتساع ، ولدينا من الأساليب المعاصرة كقولك : بحثت فى كافة الكتب ، وبكافة الطرق ، وغير ذلك مما درج الناس عليه ، وألفته ألسنتهم ، وتعودته آذانهم ما يحتاج منا ــ دارسى العربية ــ الى البحث فى أمهات كتبنا عن موقفه من القبول والرفض ، فاذا ثبت على ما قررناه أن من الأئمة الثقات من رأى لها وجهاً غير الحالية وجدنا أنفسنا قادرين على أن نجيز فيها بقية الأوجه التى يجرى الناس عليها فى استعمالاتهم فتكون مبتدأ فى نحو قولك : كافة انطلاب يفهمون هذا الكلام ، وتكون فاعلا فى نحو قولك : حاز كافة المتسابقين ، ومفعولا فى نحو قولك : شاهدت كافة المتسابقين ، ومجروراً فى نحو ما تقدم .

والله تعالى أعلى وأعلم ، هو ولينا فى الدنيا والآخرة ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ولا حول ولا قوة

---

(٨٧) انظر الفتوحات الالهية ٣/٤٧٣ ، ٤٧٤ .

الا بـــك ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمـــد وعلى آلـــه وصحبه والتابعين باحسان إلى يـــوم الدين •

الدكتـــور
مبروك عطيـــة أحمـــد أبـــو زيـــد
مدرس اللغويات بجامعة الأزهـــر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنـــات بسوهاج

أهـــم مراجـــع البحـــث

١ ــ القــرآن الكــريم •

٢ ــ الأشــباه والنظائر النحوية للسيوطى بتحقيق طــه عبد الرءوف ط• الكليات الأزهــرية •

٣ ــ الأعــلام للزركلى ، ط• استاكيوس •

٤ ــ الأمــالى الشجرية لابن الشجرى ، ط• دار المعرفة / بيروت •

٥ ــ الانصاف فى مســائل الخــلاف لعبد الرحمن بن محمــد الأنبارى بتحقيق محمــد محى الدين ، ط• المكتبة التجــارية •

٦ ــ التصريح بمضمون التوضيح للأزهرى ، ط• عيسى الحلبى •

٧ ــ الكتــاب لسيبويه بتحقيق عبد السلام هــارون ، ط• دار الكتب•

٨ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشرى ، ط• مصطفى الحلبى •

٩ ــ المحتسب فى تبيين وجــوه شــواذ القراءات لابن جنى بتحقيق على النجــدى وآخرين ، ط• المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

١٠ــ المقتضب للمبــرد بتحقيق الأستاذ محمــد عبد الخالق عضيمة ، ط• المجلس الأعــلى للشئون الاسلامية •

١١ــ النشــر فى القراءات العشــر لابن الجزرى ، ط• بيروت •

١٢ــ أسرار النــداء للأستاذ الدكتور إبراهيم حســن ابراهيم ، ط• الفجــالة الجــديدة •

١٣ــ تفســير أبى السعود بتحقيق عبد القــادر أحمد عطــا ، طبعة دار الفــكر •

١٤ــ تفسير البيضاوى ، ط. المكتبة الاسلامية / تركيا .

١٥ــ حاشية العلامة سليمان الجمل على الجلالين ، ط. عيسى الحلبى.

١٦ــ حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ، ط. تركيا .

١٧ــ حاشية عبادة على شذور الذهب ، ط. عيسى الحلبى .

١٨ــ خزانة الأدب للبغدادى ، ط. عبد السلام هارون ، ط. دار الكاتب العربى .

١٩ــ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمجنى ، ط. بيروت.

٢٠ــ ديوان أبى فراس ، ط. بيروت سنة ١٩٥٩ م .

٢١ــ ديوان لمرىء القيس وأخبار المراقسة ، ط. الاستقامة .

٢٢ــ ديوان زهير ، ط. دار الكتب سنة ١٩٤٤ م .

٢٣ــ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجى . بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط. عيسى الحلبى .

٢٤ــ سر صناعة الاعراب لابن جنى بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط. مصطفى الحلبى .

٢٥ــ شرح شذور الذهب لابن هشام بجانب حاشية عبادة ، ط. عيسى الحلبى .

٢٦ــ شرح شافية ابن الحاجب للرضى ، ط. بيروت .

٢٧ــ شرح كافية ابن الحاجب للرضى ، ط. بيروت .

٢٨ــ كشف الظنون لحاجى خليفة ، ط. استانبول .

٢٩ــ لسان العرب لابن منظور ، ط. دار المعارف .

٣٠ـ مجالس ثعلب بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٣٦٩ ، ط٠ دار المعـارف ٠

٣١ـ معـانى القرآن للفـراء بتحقيق محمـد على النجـار ، ط٠ دار الكتب المصرية ٠

٣٢ـ مغنى اللبيب لابن هشـام الأنصارى ، ط٠ دار الاتحاد العربى ٠

٣٣ـ همـع الهـوامع للسيوطى ، ط٠ دار المعـرفة / بيروت ٠